الفصل الأول

أساسيات فقه رجال الأعمال

◆ -استهلال :

تقوم معاملات رجال الأعمال في الإسلام على مجموعة من القواعد والضوابط والمعايير الشرعية التي تمثل الدستور الفقهي لرجال الأعمال، وهذا ما سوف نتناوله في هذا الفصل بصفة إجمالية على أن نفصله في الفصول التالية.

◆ -مفهوم فقه رجال الأعمال :

يقصد بفقه رجال الأعمال: مجموعة القواعد والأحكام والمبادئ التي تحكم معاملات رجال الأعمال بصفة عامة، من بيع وشراء، وشركة وشراكة، وقبض وصرف، ودائنية ومديونية، وإيراد وإنفاق، وادخار واستثمار، وكسب وخسارة، وزكاة وصدقة، ووقف ووصية، ونحو ذلك من المعاملات التي يقوموا بها منذ إنشاء المشروع وحتى انقضائه.

ويُستنبط من هذه الأحكام: الفتاوى والضوابط والمعايير والأدلة الشرعية للممارسات العملية، وتمثل المرجعية والدليل والحكم على مشروعية أو عدم مشروعية الأعمال والمعاملات.

ويمثل فقه رجال الأعمال الدستور الإسلامي للمعاملات الواجب الالتزام به، ويعتبر حجة في إبرام العقود والصلح والحكم في المنازعات لتحقيق الثقة والاستقرار في المعاملات.

◆- مصادر فقه رجال الأعمال :

تستنبط القواعد والأحكام والمبادئ الفقهية ذات العلاقة بمعاملات رجال الأعمال من المصادر الشرعية الآتية:

* **القرآن الكريم:** وبصفة خاصة آيات المعاملات.
* **السنة النبوية الشريفة:** وبصفة خاصة الأحاديث ذات العلاقة بالمال والتجارة والاقتصاد.
* **الإجماع:** ويمثل اتفاق الفقهاء المجتهدين على حكم شرعي في معاملة معينة.
* **القياس:** ويقصد به إلحاق واقعة أو معاملة مستجدة لا نص على حكمها على واقعة ورد فيها حكم سابق.
* **الاستحسان:** ويقصد به اعتبار الأمر حسنًا إذا كان يتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية.
* **المصلحة المرسلة المعتبرة شرعًا:** متى كانت لا تخالف مقاصد الشريعة الإسلامية.
* **العرف الصحيح:** ما لم يرد نص بتحريمه في الكتاب والسنة والإجماع.

* **شرع من قبلنا:** ما لم يرد نص بتحريمه في الكتاب والسنة والإجماع.

وهذه المصادر تختلف في ذاتيتها عن مصادر القوانين الوضعية، وليس هناك من حرج في تطبيق ما تفتقت عنه عقول البشر من أسس ومبادئ وسياسات ونظم إذا كانت لا تتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

◆ - لماذا يتفقه رجال الأعمال؟

إن التزام رجال الأعمال بالأحكام والمبادئ والضوابط الشرعية يحقق لهم الخير الكثير، من ذلك على سبيل المثال:

١- تحقيق رضا الله عز وجل: فالمعاملات التي تتم وفقًا لشرع الله تعتبر عبادة وطاعة وهداية، ودليل ذلك قول الله عز وجل: ﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦**﴾ [المائدة].

٢- تحقيق البركة والنماء في المال والأرباح، ودليل ذلك قول الله عز وجل: ﴿**وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦**﴾ [الأعراف] ، ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦**﴾ [الجن].

٣- أن الامتثال لأوامر الله عز وجل في الأمور التي أمر بها يهدي إلى القرار الرشيد وينال المسلم الثواب والرضوان، ودليل ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه].

٤- تجنب الحرام المنهي عنه شرعًا حتى لا يرتكب المسلم الذنوب والمعاصي والآثام التي تمحق البركة من الأرزاق، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة:٢٧٥].

٥- تجنب الشبهات حتى يستبرأ الإنسان لدينه وعرضه، وأساس ذلك قول رسول الله ﷺ : "**إنما الحلال بيِّن، وإنما الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**... الحديث" (رواه مسلم عن النعمان بن بشير).

٦- تجنب الشك والريبة بالكتابة لأن ذلك يحقق العدل والاستقرار في المعاملات، فعلى سبيل المثال يقول الله سبحانه وتعالى في مسألة كتابة

الـــــديون: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ [البقرة:٢٨٢] .

٧- تحقيق الهداية والرشد والتوفيق في المعاملات، وهذا يؤدي إلى الاطمئنان النفسي، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف].

٨- تقديم نماذج عملية مميزة لرجل الأعمال المسلم ليكون هداية لغيره، كما فعل التجار المسلمون في صدر الدولة الإسلامية، حيث نشروا الإسلام من خلال المعاملات مع غير المسلمين في بلاد شرق آسيا وأفريقيا وبقية دول العالم.

٩- تقديم نماذج عملية بصلاحية الشريعة للتطبيق في كل زمان ومكان، ولاسيما لأولي الأمر الذين يسعون مخلصين لتطبيق شرع الله، وكذلك للشركات والهيئات والمؤسسات الإسلامية.

١٠- تقديم نماذج دعوية فاعلة لنشر الإسلام في كل بقاع العالم على أنه دين شامل لكل نواحي الحياة، ومن مقاصده تحقيق الخيرية والسلام لكل الناس.

يتضح مما سبق أن التزام رجال الأعمال بالضوابط الشرعية يحقق لهم بركات معنوية حسية و مادية.

◆ -أدلة وجوب تفقه رجال الأعمال :

هناك أدلة من الكتاب والسنة ومن أقوال الفقهاء على وجوب تفقه رجال الأعمال، من هذه الأدلة ما يلي:

١- لقد أمر الله سبحانه وتعالى فئة من المسلمين بالتفقه في الدين لتبصير الآخرين إذا رجعوا إليهم، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾**﴾ [التوبة].

٢- لقد أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالتفقه في الدين بصفة عامة لتحقيق الخير، ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ : **"من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"** (رواه البيهقي).

٣- يقول ابن قيم الجوزية: "إن العلم المفروض تعلُّمَهُ ما هو فرض عين لا يسع مسلمًا جهله، وهو أنواع: العلم بأحكام المعاشرة والمعاملة التي تحصل بينه وبين الناس خصوصًا وعمومًا".

٤- يقول الإمام أبو حامد الغزالي مؤكدًا على كل مسلم ومسلمة أن يعرف فضل العمل الذي يقوم به: "إنه لا يفترض على كل مسلم ومسلمة طلب كل علم، بل يفترض عليه طلب علم الحال، ويجب عليه علم ما يقع له، بقدر ما يؤدى به الواجب يكون واجبًا".

٥- لقد أمر عمر بن الخطاب ت التجار بالتفقه في المعاملات، فكان يمر في الأسواق، ويقول: "لا يبيع في سوقنا من لا يفقه، وإلا أكل الربا رضي أم أبى".

٦- لقد حث علي بن أبي طالب ت التجار على التفقه قبل القدوم على التجارة، فقال للرجل الذي طلب أن يدعو له في التجارة: "أفقهت؟" ثم قال له: "الفقه ثم التجارة".

٧- لقد طبق في صدر الدولة الإسلامية نظام الحسبة، وكان من بين مقاصده مشارفة الأسواق للتأكد من أن الناس يلتزمون بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

تؤكد هذه الأدلة جميعا على وجوب التفقه في أمور الدين بصفة عامة، كما توجب على رجال الأعمال التفقه في أمور المعاملات التي يقومون بها خشية الوقوع في الحرام.

◆ -ماذا يجب أن يعرفه رجل الأعمال عن فقه المعاملات ؟

من أساسيات فقه المعاملات الواجب على رجل الأعمال معرفتها ما يلي:

* القواعد والأحكام والمبادئ الشرعية العامة للأعمال والمعاملات من حيث الحلال والحرام والمشتبهات.

* فقه التعامل مع النفس: من حيث الالتزام بالقيم والأخلاق والسلوك الحسن.

* فقه التعامل مع المال: من حيث ضوابط الكسب والإنفاق والادخار والتملك ونحو ذلك.

* فقه التعامل مع العمال: من حيث الحقوق والواجبات والحوافز والعقوبات.

* فقه التعامل مع رجال الأعمال الآخرين: سواء كانوا منافسين أو متعاملين من حيث الاتفاقات والعقود والتعاون على البر.

* فقه التعامل في الأسواق: من حيث ضوابط البيع والشراء والوساطةوالقبض والصرف، ونحو ذلك.

* فقه التعامل مع المجتمع: من حيث إعطائه حقوقه المشروعة مثل الزكاة والضرائب والرسوم العادلة ، والمحافظة على الموارد الطبيعية والمحافظة على البيئة من التلوث، وما في حكم ذلك.

* فقه التعامل مع الحكومة و المصالح والأجهزة الحكومية: في ضوء القوانين والنظم التي تُسير الأعمال والمصالح والتي لا تتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

* فقه التعامل مع المواطنين (المواطنة) من غير المسلمين في الوطن وفقا للقاعدة: لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

* فقه التعامل مع غير المسلمين (خارج الوطن) المسالمين منهم والمحاربين وفقا لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

* فقه حقوق الله في المال والكسب: مثل الزكاة والصدقات والوقف والهبات والنذور و الوصايا والكفارات ونحو ذلك.

* فقه الميراث والوصايا: في ضوء أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

وبصفة عامة يجب على رجال الأعمال العلم بأساسيات فقه المعاملات التي يقومون بها، كما يجب أن يكون لهم مرجعية شرعية للرجوع إليها في الأمور المستحدثة أو المتعمقة التي تحتاج إلى دراسة واجتهاد ، وهذا ما سوف نتناوله بشيء من التفصيل في فصول هذا الكتاب .

◆-بواعث التزام رجال الأعمال بالضوابط الشرعية :

لقد وضع فقهاء وعلماء المسلمين ضمانات وبواعث للالتزام بالضوابط الشرعية للمعاملات على النحو التالي:

* **الباعث الإيماني:** ويتمثل في الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة].

* **الباعث الذاتي:** ويتمثل في الخشية والخوف من الله والرجاء في رضاه يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن] ، ويقول رسول الله ﷺ : **"من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة"** (رواه الترمذي).

* **الباعث النفسي:** ويتمثل في طمأنة النفس وتحقيق السكينة، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام] ، ويقول رسول الله ﷺ : **"دع مَا يُرِيبُك إلى ما لا يُرِيبُك"** (رواه الترمذي)، ويقول ﷺ : **"البر هو ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وخفت أن يطلع عليه الناس"** (رواه أحمد)، ويقول :ﷺ **"استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك "** (رواه أحمد).

* **الباعث الاجتماعي:** ويتمثل في رضاء المجتمع عندما يلتزم رجال الأعمال بشرع الله، وكذلك الخشية من سخط المجتمع عندما يخالف شرع الله، فمن حق المجتمع محاسبة رجال الأعمال على مدى قيامهم بالمسئولية نحوه، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾**﴾ [آل عمران] ، والدليل من السنة النبوية قول رسول الله ﷺ : **"من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"** (رواه مسلم).

* **الباعث القانوني:** ويقصد بذلك التزام رجال الأعمال بالقوانين الصادرة من الحكومة سواء كانت قوانين اقتصادية أو مدنية ما لم تخالف أو تتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾**﴾ [النساء] ، ومن السنة النبوية قول رسول

الله ﷺ : "...**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجز**... الحديث" (رواه الترمذي وابن ماجه عن العرباض ابن سارية)، ويقول عثمان بن عفان ت: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" .

* **الباعث المهني:** ويتمثل في انتماء رجال الأعمال الي المنظمة أو إلى النقابة أو الطائفة الذين هم أعضاء فيها تدافع عنهم وتحافظ على حقوقهم، وعليهم وجوب مهني أن يلتزموا بأسسها ومبادئها ولوائحها ما دامت لا تخالف شرع الله .

تؤدي هذه البواعث إلى تحفيز رجال الأعمال بالالتزام بالضوابط الشرعية ديانة وأخلاقًا، وكذلك باعتبارهم أعضاء في المجتمع الذي يعيشون فيه، يجب أن يلتزموا بالقوانين الحكومية متى كانت لا تتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وذلك لتحقيق البركات مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف] .

◆ - **الخلاصة:**

لقد خلصنا من المسائل السابقة أنه من الواجب على رجال الأعمال التفقه في المعاملات التي يقومون بها لمعرفة الحلال للالتزام به ولمعرفة الحرام لتجنبه، وذلك لتحقيق الخير والبركات، وأن من البواعث على ذلك الخشية من الله عز وجل والخوف من المجتمع ومن السلطان، وهذا يقود إلى استقرار المعاملات وهذه الخلاصة تقودنا إلى تناول القيم الإيمانية والأخلاقية لرجال

الأعمال وبيان أثرها على سلوكياته ونتائج أعماله، وهذا ما سوف نتناوله في الفصول التالية.

obeikandl.com